لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٧ — من السنة ٥

نيرب ومكشوفاتها

Neirab et ses Fouilles.

تمهيد

في شهر نيسان من العام المنصرم (١٩٢٦) في اثناء المؤتمر الاثري الامعي المنعقدة جلسات دوره الفلسطيني في معهدنا الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف . كان المحفي الفرنسي الرقم والفنون الفتانة قد اعرب عن رغبته بلسان العلامة المسيو دوسو ممثله في المؤتمر ، في ان يرسل ارباب شؤون المعهد بعثة الى نيرب لتقوم فيها باعمال حفرية فنية . فنزولا على متمنى هذا المحفي الجليل وبرعايته العالية . شرع في هذا التنقيب في المحل المذكور من ٢٤ ايلول الى ٥ تشرين الثاني من سنة ٩٢٦ على يد بعثة اوفدت من هذا المعهد الدومنكي كان رئيسها ومعاونه ابوين من الرهبانية وهما حضرة الاب كلرير احد الاساتذة الماهرين في مثل هذه المشاريع وحضرة الاب باروا المتفرغ للاثريات . وكان معهما بعض المؤازرين .

وقد نشرت الصحف حين ذاك اخبار هذا التنقيب وشفعتها بكلمة موجزة

على ما وجد فيه من اللقى ... ثم صدرت في ذا الشان مقالة في مجلتنا الكتابية بقلم الاب باروا ، كما ان حضرة الاب كاربير القى في ذا الموضوع محاضرة ثمينة كانت حلقة من سلسلة محاضرات هذا العام التي القيت في معهدنا .

على ان هذا الحفر الحديث لم يكن الوحيد الذي اسفر عن آثار عتيقة بل كان قد اكتشف شيء سابقا غير هذا بطريق المصادفة اقتنته متحفة اللوفر في باريس وبحث عنه بحثا مدققا الاثري الشهير كليرمون كانو .

واذ كانت اشياء هذه المواضيع خطيرة ممتعة فضلا عما فيها من اللذة العقلية ، احببنا بعد استطلاع مصادر البحث ان نطلع بعض التفاصيل على هذه المكشوفات ابناء لغتنا وعساهم ان يرغبوا في مثل هذه العلوم والفنون المختصة ببلادهم اكثر من غيرها بها .

نيرب الحالية

اذا خرج المسافر من حلب ، وقبلته الجهة الجنوبية الشرقية ، لا يعتم — بعد سيره مسافة لا تزيد على ٧ كيلومترات — ان يصادف ، غير بعيد عن الطريق المؤدية الى مسكنة والفرات ، قرية غريبة المنظر لشكل بيوتها الظاهرة للعيان كانها كوائر جسيمة مقلوبة على فمها ؛ ودور هذه الضيعة قد التفت او تكاد تلتف بتل قديم يتراوح علوه بين ١٠ و ١١ مترا . وقمته المسطحة تشرف على كل السهل المجاور لها اما طرفه الجنوبي فمتهدم وجهتاه الشمالية والشمالية الشرقية فقد انزلهما السكان الى مستوى السهل باخذهم منهما التراب لصنع الطين اللازم لبناء دورهم .

ورود اسمها في الآثار القديمة

اسم نيرب عريق في القدم . جاء ذكره في لائحة الكرنك في جملة المدن السورية التي افتتحها تحوتمس الثالث فرعون مصر وذلك بصورة «نيروب ونيريب ونيرب» وورد ايضا في احدى رسائل تل العمارنة ، اذ يقرأ فيها بجانب اسم ملك حثي اسم ملك « نيريا » نجده كذلك في رقيم كبير «لاشور نصير أبال» بصورة «نيربي او نيريبي او نيريبو» واما المؤرخ اسطيفانس اليوزنطي فقد دعاها « نيريبوس » نقلا عن نقولا الدمشقي . ولهذا الاسم ذكر

في « الدر المنتخب في تاريخ حلب » لابن شحنة . بعبارة « باب النيرب » وهو احد ابواب حلب سمي بذلك لان الناس تخرج منه للذهاب الى هذه القرية ثم في كتاب كمال الدين المفرج في المجموعة العربية للحروب الصليبية بهذه التسمية « ارض النيرب وجبرين » اخيرا تراه في كتاب المشترك لياقوت الحموي ، ودونك نص ما يهمنا منه : « النيرب قرية بغوطة دمشق في وسط بساتينها ... والنيرب قرية من قرى حلب بينهما فرسخ . والنيرب قرية من قرى حلب ايضا قرب سرمين ».

اصل اسمها واشتقاقه

نيرب كلمة اشورية معناها على الرأي الاعم والاصح « المدخل والمجاز » وهي مركبة من النون بمنزلة متوجة ومن « يرب » وسبب التسمية هذه هو إما لانها كانت ولا تزال الطريق المؤدية الى سورية للمقبل من بين النهرين والعراق عابرا نهر الفرات . واما لانها بمثابة مدخل للمدينة التي هي في جوارها ، وهذا ما يستدل عليه من أل التعريف الداخلة عليها في النصوص العربية الواردة آنفا وتعد القرى المسماة بها كما ذكرها ياقوت . إلّا ان هذا التاويل الثاني قد لايصح على نيرب في الاعصر القديمة .

لمادة نيرب وجود في جميع اللغات السامية وبعض فروعها مع شيء من التفاوت في المدلول الاثل كلها الى اصل واحد معناه الدخول ـ وهذه المادة مع كونها ثلاثية يسوغ ردها الى مادة ثنائية وهي « ع ب » الدالة على شيء من هذا المعنى . لك دليل على ذلك كلمة « عب » العربية ومؤداها : شرب الماء وكرعه اي ادخله دون تنفس . وفي « عب » السريانية ومعناها الدخل . وكذلك « عب » السريانية بمعنى الغابة . سميت بذلك لتداخل اشجارها وفي « عابا » العبرية ويراد بها الكثيف اي المتداخل بعضه ببعض . وكذا الشان في اللفظة الحبشية « عبي » ومفهومها العبل اي الضخم او المتداخل العضلات . ومنها ايضا كلمة « غاب » العربية المراد بها : بعد محتجبا اي داخلا .

وانما اقحمت الراء في هذه المادة الثنائية لمبالغة في معنى الدخول عملا بالمبدأ اللغوي القائل : « الزيادة في المبنى زيادة في المعنى » وفي اللغة العربية تجد

أثر المادة الثلاثية في لفظة « غرب » التي اشتقت منها الغرب والغروب وهو نزول الشمس الى الافق اي دخولها فيه مما يظهر غاية الظهور في البحر اذ ترى الشمس داخلة فيه حين غروبها . ومن هذه الكلمة جاء اسم اوربة Europe اي بلاد الغرب او الغروب ، وفي الارمية القديمة والسريانية كلمة « عرب » وهي بمعنى « غرب » العربية . ومن عرب اشتق « معربا » اي مغرب او غروب اعني دخول الشمس وراء الافق . ومن ذلك حرف « عروبتا » التي عربت بلفظة « عروبة » وهي اسم ليوم الجمعة اذ تدل على الغروب ومن ثم على المساء وعلى ليلة السبت — وفي الحبشية «معربم» اي مغرب — والميم «للتمييم» بدل نون التنوين العربي الشمالي . وفي رقيم زنجيرلي «معرب» مغرب . وفي الحبشية «عريب» اي نزول . وهو مستعمل خاصة للدلالة على سقوط الاجرام الجوية كالنيازك . وفي العبرية « عرب » الغروب او المساء .

قلنا ان الكلمة على لفظها الحالي اشورية او قل اكدية ونعني بالاكدية الفرع الشمالي الشرقي من اللغات السامية وهو قسم ينطوي على لهجتين وهما الاشورية والبابلية وقد دعيت اكدية نسبة الى « اكد » الشهيرة عاصمة المنطقة البابلية الشمالية المقابلة لربوع البابلية الجنوبية اي الشمرية . فاللفظة اذا اكدية وذلك ليس لانها وجدت في نصوصها المسمارية فحسب ، بل لان فيها قد جرت التطورات الخاصة بهذا اللسان . فهي آتية من فعل أربو Erêbu ومعناه في هذه اللغة كما سبق التبيان (دخل او جاز) والامثلة على ذلك كثيرة منها ما هذا نقله بالحرف الافرنجي وتعريبه :

Ana, biti, sha, e - ri - bu - shu, zummu, nûru. في البيت الذي يدخل ليس نار (او النار مبعدة) Ana, bit, amelim, ina, erebiki حين تدخل بيت احد الناس (او انسان ما) — ومن ذلك ايضا : Shamshi erêb اي دخول الشمس وهو غروبها .

وقد رأيت من الامثلة المتقدمة ان هذا اللفظ مبتدىء بحرف حلقي سواء أكان عينا ام غينا في كل اللغات السامية ما خلا الاكدية . ولا باحنك

العجب اذا عرفت ان الاكدية — وعلى شاكلتها طائفة من اللغات السامية ، كالجعزية « الحبشية القديمة » والاحرية « الحبشية الحالية » و المندائية « لغة الصبة » والسورث «الكلدانية العلمية» — قد سقطت منها الحلقيات بكثرة او قلة واستحالت همزة .

فالفعل اذا هو « عرب او غرب » وهو في الاكدية Erêbu بحذف الحرف والاستعاضة عنه بالهمزة — إلّا ان سقوط الحلقيات في الاكدية لا يخلو من التأثير في الحركات الخاصة بها او المجاورة لها . وعليه فكل كلمة حذفت منها الحاء أو العين أو الغين وقامت مقامها الهمزة فحركة الحلقي وحركة ما يتبعه ، اذا كانت فتحة أم كسرة ، تتحول الى حركة امالة .

مثال اول — « حدشو » ومعناه جديد ويقابله في العربية : حدث . وفي السريانية « حادث » وفي العبرية « خادش » وفي الحبشية « هدس » حذفت منه الحاء وقامت مقامها الهمزة فصار « أدشو » ثم طبقت عليه قاعدة الحركات فانقلبت الفتحتان امالتين فاصبح « ادشو » Edêshu .

مثال ثان — « عربو » وهي الكلمة الدائر البحث عليها وقد رأيت ما يقابلها في بقية الالسن السامية . اسقطت منها العين فعوض عنها بالهمزة فاضحت « أربو » ثم تحولت الفتحتان الى امالتين فاصبحت « اربو » Erêbu

وهذا التأثير تأثير سقوط الحلقيات لا يشمل الحركات الخاصة بها فقط بل يتصل بحركات المقاطع القريبة منها نفسها مثاله :

shêmû « سمع » عوض shamâ'u . zêru « زرع » بدل zeru,zarâ'u

epshêti « اعمال » عوض apshâti

واما النون المتوجة لكلمة تعرب فاصلها ميم كما هو الشان في جميع اللغات السامية التي يقال فيها مثلا : مغرب — ومعربا ومعرب الخ . وانما قلبت الميم نونا طبقا لقاعدة اخرى مطردة او كالمطردة في الاكدية — ولا تخلو العربية من اثر لها — وهي مشهورة بين اهل النحو الاكدي بقاعدة « بارت » وهو المستشرق الالماني الذي كان سبق الجميع في تحقيقها وتدوينها — والقاعدة ها هي ذي : ان الميم الداخلة على الاسماء المستعملة غالبا للدلالة على المكان

أو الزمان أو الآلة تقلب نونا كلما توجت الفاظا أحد اصولها حرف من الحروف الشفهية كاليم والباء (والباء المثلثة الفارسية) . مثال ذلك :

Narkabtu «مركبة» و Namkuru «ملك» و Napharu «عامة الاشياء» عوض Markabtu و Mamkuru و Mapharu

وانت ترى من هذه المقابلة الالسنية السامية ما كان اصل نيرب وكيفية وصولها الى لفظها الحالي وقد علمت ان معنييها المطلق والمحصور وهما الدخول وغياب الشمس قد ثبتا في الاكدية وحدها ولم يبق إلا المدلول المحصور في بقية اللغات السامية الاخوات .

اول مكشوفاتها

قلنا في سياق كلامنا عن نيرب الحالية ان اهل القرية قد انزلوا الى الحضيض قسما من التل القديم وانهم لا يزالون يرفعون التراب من ثم لبناء دورهم .

هذا واعلم ان هناك قد حدث امر غالب الوقوع في باب الاثريات . الا وهو اكتشاف لقى قديمة بطريق المصادفة على يد قوم ليسوا من ارباب الفن.

ففي سنة ١٨٩١ كان الفلاحون يحفرون في التل على عادتهم لاخذ التراب. فاذا بهم قد وجدوا نصبين عليهما نقوش وكتابة بالخط الارمي . كما انهم قبل ذلك الاوان بسنتين كانوا قد وقعوا في المحل عينه على تاووس حاو صفلين « هيكلين » بشريين وعلى اسطوانة مطوقة بالذهب . فالتاووس لم يزل في موضعه واما الاسطوانة فبعد ان جردها من الذهب الذي ظفر بها باعها في الاستانة. وقد وقفوا هناك ايضا قرب هذه الحجارة على تمثال متعدد الاشخاص مصنوع من نحاس والظاهر انه يمثل اله الفنيقيين والاهتهم . اما النصبان فقد وجدا منتصبين مطمورين في التراب في نحو الجهة الشمالية من التاووس وهما منحوتان نحتا متقنا بخلاف التاووس فانه خشن النحت وغطاؤه من حجر ابيض خال من كل نقش او كتابة . واما تمثال النحاس فخشونة صنعته دليل واضح على قدمه .

واذ كان النصبان من اهم اللقى القديمة . فلا باس من ان نشبع الكلام عن وصفهما ملخصين ما جاء عنهما في كتاب كليرمون كانو .

النصب ـ أ

هذا النصب مصنوع من حجر اسود وصلب منحوت وهو من جنس الحجر البركاني . على وجهه منقوشة نقشا نائتا صورة رجل منتصب متجه الوجه نحو اليمين ومتشح بثوب طويل ينحدر الى عقبه ورجلاه محتذيتان وركبتاه راكبة الواحدة على الاخرى وفي ثوبه طيسات كطيات الرداء الذي فوقه على الزي الاشوري البابلي وعمرته ذات شكل خاص لشبهها بعرقية دائرة نصف دائرة وهي تغطي رأسه كله مسترسلة الى اسفل الرقبة ساترة الاذنين ومنوط بها من الوراء شرائط قصيرة ودقيقة وذراع الشخص اليمنى مرتفعة ويده اليمنى مبسوطة للضراعة والعبادة ويده اليسرى متصلة بمرفق اليمنى ووجهه ضخم خلو من الشعر او محلوقه وظواهره ظواهر الشباب وعليه ملامح الجنس السامي المعروف . وفي المحل المجاور لهذه الصورة يرى رقيم ذو ١٤ سطرا شكل حروفه فنيقي قديم والكتابة مقسومة الى قسمين القسم الاول في اعلى الصورة وهو مؤلف من ٨ اسطر مكتوبة على طول الراس والقسم الثاني في ادناها وقوامه ٦ اسطر عابرة على الجزء التحتاني من القميص .

النصب ـ ب

هذا النصب مصنوع من الحجر الاول نفسه وهو مثله منقوش من فوق ومكتنف بكفاف من تحت . في قسمه الاعلى رقيم ذو ١٠ اسطر حروفه كحروف رقيم (النصب أ) واما كتابته فلا اطار حولها وهي منتشرة على كل الوجه دون فاصل وفي جزءه الادنى صورة رجل امرد او محلوق اللحية ثيابه وعمرته كثياب وعمرة الشخص الاول وهو جالس على كرسي او عرش لامتكأ له ووجه الرجل متجه نحو اليمين ورجلاه المكشوفتان موضوعتان على موطىء ذراعه اليسرى مبسوطة ويده مفتوحة واما ذراعه اليمنى فمرتفعة وفي يده اناء شبه الكاس أو الطاسة قد اوناه من فيه . بين يدي الرجل مذبح على شكل مائدة تماثل دعائمه دعائم العرش وعلى المائدة (الطاولة) العليا مصورة ضروب من التقادم ومن وراء المذبح مقابل الرجل الجالس يرى شخص آخر قائم ووجهه نحو اليسار وقامته اصغر من قامة الاول ولباسه قميص مربوط

بمنطقة ومنحدر الى الركبة .

اما رأسه فان لم يكن مكشوفا فهو مغطى بعرقية بسيطة واذناه مطلقتان وشعره مجزوز وركبتاه ورجلاه مكشوفات .

يتبادر الى الذهن لدى رؤية هذا المشهد انه مشهد حفلة مأتم مصري إلّا ان الثياب وهيئة الاشخاص وطرز الاشياء الاخرى تظهر عليها الخصائص الاشورية ، فضلا عن ان الرقيم الذي يدلنا على ان هذه الحفلات هي من حفلات الموتى . والبائن ان الشخصين المصورين في هذين النصبين كانا من فئة الاحبار والفرق بين الاثنين ان هيئة الاول هيئة شاب وسمت الثاني يدل على الشيخوخة ويؤيده نص الرقيم عينه . هذا وان كانت المشابهة الاشورية ظاهرة غاية الظهور إلّا ان كليرمون كانو يرى ان العهد الذي يمكن ان يرقى اليه بالنصبين هو العهد الاشوري ، اي القرن السادس (ق . م) الذي فيه دالت دولة السلالة السرجونية . ولنا في منطوق الرقيم ما يؤيد التحقيق الاثري . فان اسماء الالهة المدرجة فيه هي من مصاف آلهة الزون الاشوري . ويضيف العلامة المذكور الى قوله انه اذا اردنا الزيادة في التخصيص لاقتبنا ابداء الرأي بان النصبين من العهد البابلي الثاني او الحديث ، وهو الفترة الواقعة بين سقوط السرجونيين وظهور كورش اي من سنة ٦٢٥ الى سنة ٥٣٨ ق.م وبنوع اخص في زمن آخر ملوك بابل وهو نبونيد الذي عاش بين ٥٥٥ و ٥٣٥ ق . م .

الاب أ . س مرمرجي الدمنكي
احد اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي
في القدس الشريف

دخل حكومة العراق ونفقاتها

بلغ دخل حكومة العراق في تموز الماضي ٤٠٠ر٦٦٨ ربية ، وبلغت نفقاتها في ذلك الشهر ٩٥٦ر٤١٥ر٣ ربية . وبلغ مجموع الدخل منذ ابتداء السنة المالية الى آخر تموز ٨٩٠ر٤٦٩ر١٦ ربية ، وبلغ مجموع النفقات في هذه المدة ٩٦٦ر٤٥٦ر١٥ ربية .

من ينظر الى هذه الصورة ، يتحقق ان صاحبها ، هو صاحب الشعر المبتكر ، البديع المعاني ، الطريف الاسلوب ، ناقل افكار الغرب ، الى ديار العرب : الدكتور احمد زكي ابو شادي وهو في الخامسة والثلاثين من عمره .

من رسم الاستاذ الفنان
عنايت الله ابراهيم
النقاش المصري الشهير
في مصر القاهرة